الفصل الثاني

من رحيق
قصص الأنبياء والتاريخ

- نـــــــــــبي الله آدم عليه السلام
- نـــــبي الله إدريـــــس عليه السلام
- نـــــبي الله نـــــوح عليه السلام

تمهيد

قصص الأنبياء في القرآن الكريم يمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد المتصل الطويل، ويعرض قصة الدعوة إلى الله وموقف البشرية منها حيلاً بعد جيل، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم وهذا الموكب الكريم في طريقه يفيض على القلب رضى ونورًا وشفافية، ويشعره نفاسة هذا العنصر العزيز - عنصر الإيمان - وأصالته في الوجود، كذلك يكشف عن حقيقة التصور الإيماني ويميزه في الجنس من سائر التصورات الدخيلة، كما يبين وحدة الأصل الإنساني ووحدة الغاية من إرسال الرسل وإن اختلفت الشرائع.

*****

نبي الله آدم عليه السلام [1]

الاسم واللقب.

هو الملقب بأبي البشر، ففي حديث الشفاعة " مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ" [رواه البخاري، من الحديث ٩٢ ٣]

وقد أخبر الله ﷻ الملائكة بأنه سيخلق بشرًا خليفة في الأرض، فقال الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وليس هذا اعتراضًا من الملائكة حاشاهم ذلك، ولكنهم قصدوا ما فعله الجن عندما خلقهم الله ﷻ وأعطاهم التخيير ففسدوا وسفكوا في الأرض، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدم ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾

مادة الخلق ووقته:

جمع الله ﷻ قبضة من تراب الأرض، فيها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، ولهذا يجيء الناس ألوانًا مختلفة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال

---

١ – تقتبس الأسماء هنا مستقاة من المراجع الآتية

- قصص الأنبياء [مجموعة شرائط كاسيت] طارق السويدان
- الحافظ إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء
- موسوعة شركة حرف CD (القرآن الكريم)
- موسوعة شركة حرف CD (الحديث الشريف)
- موقع www alnoor- world com
- موقع www moqatel com

رسول الله ﷺ "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ"[رواه الترمذي، الحديث ٢٨٧٩]

قال الله تعالى. " فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَزِبٍ"[1] أي متلاصق يلصق بعضه بعضًا ثم خلقه الله ﷻ في صورة إنسان، وترك هذا الطين مدة حتى جف وصار صلصالاً واسود لونه وصار كالفخار ثم صار كالحمأ المسنون[2] وكأن فيه آثار الرماد، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ"[رواه الترمذي، الحديث ٤٥]

استقبال إبليس لخلق آدم عليه السلام

لما خلق الله نبيه آدم عليه السلام تركه جسدًا ملقى ليس فيه روح فكان إبليس يأتيه، فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ."لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمَالَكُ"[4] [رواه مسلم، الحديث ٤٧٢٧]

---

١ – الآية ١١ من سورة الصافات

٢ – الحمأ طين أسود منتن، ومسنون معناه عليه السنون

٣ – الآية ٢٦ من سورة الحجر

٤ – أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، والمراد جنس بني آدم

أول الكلام: الحمد لله:

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ قال رسول الله ﷺ "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ" [رواه الترمذي، من الحديث ٣٢٩٨]، فأول شيء نزلت عليه الرحمة من الله ﷻ

تكريم بالسجود:

لما خلق الله سبحانه آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود تكريمًا له فسجدوا إلا إبليس، فأنكر الله ﷻ عليه لعدم طاعته للأمر وسجوده لنبي الله آدم عليه السلام، قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ* قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ* قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ* لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [1]

الهيئة الخَلْقية

خلق الله ﷻ نبي آدم عليه السلام طوله ستون ذراعًا [2]، فعن أبي هريرة ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنْ

---

١ - الآيات ٧١- ٨٢ من سورة ص

٢ - الذراع حوالي ٦٤ سم

الْمَلائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ"[رواه البخاري، الحديث ٣٠٧٩]

علمه البيان:

علم الله تعالى نبيه آدم عليه السلام أسماء كل شيء، فعلمه أن هذه دابة وهذا بحر وهذا شجر، ثم قام نبي الله آدم عليه السلام بإخبار الملائكة بأسماء الأشياء فأدركت الملائكة أن نبي الله آدم عليه السلام هو المخلوق الذي لديه القدرة على التعلم والمعرفة، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ*قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1]

المشيئة العليا:

فالمشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله -بإذن الله وحسب قدره ومشيئته- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، وهي التشمير في طاعة الله وعبادته وتعمير هذه الأرض.

وقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة، والاستعدادات

---

١ - الآيات ٣١- ٣٣ من سورة البقرة

المدحورة ليقوم بالاستفادة مما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكور وحامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية

فهنالك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض -وتحكم الكون كله- والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الصحمة فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة

وخلق منها زوجها:

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، فذات يوم أفاق نبي الله آدم عليه السلام فوجد امرأة قاعدة عنده، فسألها من أنت ؟ قالت امرأة قال لم خلقت ؟ قالت: لتسكن إليَّ، وسألت الملائكة نبي الله آدم عليه السلام عن اسمها، فأخبرهم كما علمه ربه أنها حواء، وذلك لأنها خلقت منه وهو حي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ"[رواه البخاري، من الحديث٨٤ ٣]قال الحافظ ابن حجر (قِيلَ فِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ حَوَّاء خُلِقَتْ مِنْ ضِلَع آدَم الْأَيْسَر وَقِيلَ مِنْ ضِلْعه الْقَصِير ، أَخْرَجَهُ اِبْن إِسْحَاق وَزَادَ: "الْيُسْرَى مِنْ قَبْل أَنْ يَدْخُل الْجَنَّة وَجُعِلَ مَكَانه لَحْم " وَمَعْنَى خُلِقَتْ أَيْ أُخْرِجَتْ كَمَا تَخْرُج النَّحْلَة مِنْ النَّوَاة)[2]

---

١ - من الآية ١ من سورة النساء

٢ - فتح الباري، جـ٦، صـ٤٥٤

أول ابتلاء:

لم يعد نبي الله آدم عليه السلام يشعر بالوحدة وكان يتحدث مع حواء كثيرًا، وكان الله قد سمح لهما بأن يقتربا من كل شيء في الجنة وأن يستمتعا بكل شيء، ما عدا شجرة واحدة، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] فأطاع نبي الله آدم عليه السلام وحواء أمر ربهما بالابتعاد عن الشجرة، غير أن نبي الله آدم عليه السلام إنسان، والإنسان ينسى، وقلبه يتقلب، وعزمه ضعيف، واستغل إبليس إنسانية آدم عليه السلام وتكوينه النفسي، وجمع كل حقد في صدره، وراح يثير في نفسه- يومًا بعد يوم- ما يضره ولا ينفعه، قال تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾[2]*، وما زال بهما حتى أكلا من الشجرة المحرمة

إن هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإعدادًا، كانت إيقاظًا للقوى المذخورة في كيانه، كانت تدريبًا له على كيفية التعامل مع الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين

لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزودًا بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً، وموعظة وتحذيرًا استعدادًا للمعركة الدائمة

عقوبة المعصية

لم يكد نبي الله آدم عليه السلام ينتهي من الأكل حتى اكتشف أنه أصبح عاريًا،

---

١ – الآية ٣٥ من سورة البقرة

٢ – الآية ١٢ من سورة طه

* هذه الآية ترد على الزعم بأن حواء هي سبب اخراج آدم من الجنة وإنما هما معا "فأكلا منها" ، "فلما ذاقا الشجرة"

وأن روحته عارية وبدأ هو وروحته يقطعان أوراق الشجر لكي يعطيا حسديهما العاريين، وفر نبي الله آدم عليه السلام وناداه الله ﷻ، يا آدم أتفر مني ؟ قال: لا يارب ما فررت منك ولكن حياء منك مما حئت به[1]

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ* وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ* فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ* قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ* قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[2]

وكانت الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه ليقولها فيتوب عليه هي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]، إنها حصيصة "الإنسان" التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه الاعتراف، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة بالله، وطلب رحمته، مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته، وإلا كان من الخاسرين وها تكون التجربة الأولى قد تمت، وتكشف خصائص الإنسان الكبرى وعرفها هو وذاقها، واستعد - هذا التنبيه لخصائصه الكامنة - لمزاولة اختصاصه في الخلافة، وللدخول في المعركة التي لا هدأ أبداً مع عدوه. وأُنزل آدم عليه السلام وأنزلت معه

---

١ - انظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ٣٣

٢ - الآيات ٢- ٢٥ من سورة الأعراف

٣ - من الآية ٢٣ من سورة الاعراف

حواء وأنزل معهما إبليس

تعمير الأرض:

قال الله تعالى:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[1]، وبث الله ﷻ البشر في الأرض فقال جل شأنه ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾[2]، ويروي الطبري أن حواء ولدت لنبي الله آدم عليه السلام أربعين ولدًا في عشرين بطنًا، في كل مرة تلد ذكرًا وأنثى كان أولهم قابيل وأخته، وبدأ البشر يكثرون ويتناسلون.

أول قتل متعمد:

كان قابيل أكبر أبناء نبي الله آدم عليه السلام وكان في طبعه حنبونة وعلطة وكان له أخ يسمى هابيل وكان فيه لين ورِقة، فكانت الشريعة آنذاك أن يتزوج الرجل أية أخت من أخواته إلا التوأم التي ولدت معه، وكانت أخت هابيل مقربة إليه ولكنها كانت أقل جمالاً من أخت قابيل، فما أحب قابيل أن يتزوج أخته الجميلة لهابيل، كان يريد هو أن يتزوجها لكن هذا محرم، فعصب قابيل من هذا التشرع و لم يعجبه، فأمرهم أبوهم نبي الله آدم عليه السلام أن يقدما قربانًا[3] إلى الله، وكانت علامة قبول القربان أن تأتي صاعقة أو تأتي النار فتأكله والذي لا تأكله النار يكون غير مقبول، فجاءوا في يوم تقديم القرابين فقدم هابيل أفضل المواشي عنده لله ﷻ وقد كان راعي غنم، أما قابيل وكان مزارعًا فجاء بزرع

---

١ – من الآيه ٦١ من سورة هود

٢ – من الآية ١ من سوره النساء

٣ – القربان ما تتقرب به إلى الله

رديء فقدمه قربانًا، فلما جاءوا في اليوم التالي وجدوا أن قربان هابيل قد قُبل وقربان قابيل كما هو لم تمسه النار فراد حسد قابيل على هابيل وراد عصبه، ووسوس له الشيطان فقال له اقتل أخاك، فعزم على ذلك وما كان القتل عندهم معروفًا، وجلس القاتل أمام شقيقه الملقى على الأرض. كان هذا القتيل أول إنسان يموت على الأرض.

وعند الغراب العلم

ولم يكن دفن الموتى قد عرف بعد، وحمل الأخ جثة شقيقه وراح يمشي بها، فرأى القاتل غرابين يتقاتلان فقتل أحدهما الآخر ومات الغراب أمام نظر قابيل، ثم بدأ الغراب الحي يحفر في التراب ودفع جثة الغراب الميت ثم حثا عليه التراب، فتعلم قابيل من الغراب كيف يدفن أخاه فحفر في الأرض ووضع هابيل وغطى عليه التراب وأصبح نادمًا على ما فعل[1]

قال تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ* فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[2]

---

١ - انظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ٦٢- ٦٦

٢ - الآيات ٢٧- ٣١ من سورة المائدة

وظيفة الإنسان في الأرض.

كان نبي الله آدم عليه السلام على الأرض إنسانًا يعمل ليصنع طعامه، وسيًا يعط أشاءه وأحفاده ويحدثهم عن الله ويدعوهم إليه، ويحكي لهم عن إبليس ويحذرهم منه، ويروي لهم قصته هو نفسه معه، ويقص عليهم قصته مع ابنه الذي دفعه لقتل شقيقه، وما عصى الله ﷻ إلا مرة واحدة عندما أكل من الشجرة، ولم يعص الله بعدها طيلة حياته على الأرض، فقد كان أسوة وقدوة لأبنائه عليهم السلام، يحكم بشرع الله ويعبد فيهم أحكامه، ويعمر الأرض ويبشر الخير بين كل الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]

نبوة آدم عليه السلام:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟ قَالَ آدَمُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ "نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ" [رواه أحمد، الحديث ٥٦٦ ٢]

*****

---

١ – من الآية ٣٠ من سورة البقرة

٢ – الآيتان ٥٥،٥٦ من سورة النور

نبي الله إدريس عليه السلام

الاسم والنسب.

هو إدريس بن يارد بن مهلاييل، وينتهي نسبه إلى شيث بن نبي الله آدم عليه السلام، اسمه عند العبرانيين "حنوخ" وفي الترجمة العربية "أخنوخ"، وقد أدرك من حياة نبي الله آدم عليه السلام ٣٠٨ سنوات، لأن نبي الله آدم عليه السلام عمَّر طويلاً حيث عاش ٩٦٠ سنة[1]

شمائل وصفات.

ذكر الله تعالى نبيه إدريس عليه السلام في بضعة مواضع من سور القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً*ورَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[2]، وقال تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ*وأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]

ورفعناه مكانًا عليًا.

قال الله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[4] قال الحسن البصري الحية، وعن مجاهد قال السماء الرابعة، وتؤيده ما رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ قال." ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ" [رواه البخاري، من الحديث ٣٥٩٨]

---

١ – انظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ٧٧و٨٣، وصحيح البخاري في كتاب الأنبياء، باب ذكر ادريس عليه السلام

٢ – الآيتان٥٦، ٥٧ من سورة مريم

٣ – الآيتان٨٥،٨٦ من سورة الأنبياء

٤ – الآيتان ٥٦،٥٧ من سورة مريم، وانظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ٧٧ ، ٧٨

نبي الله نوح عليه السلام

الاسم والنسب:

هو نوح بن لَمْك بن مَتُوشَلَح بن إدريس عليه السلام[1]

بداية الشرك:

قبل أن يولد قوم نوح عاش خمسة رجال صالحين من أجداد قوم نوح، ومع ثم ماتوا، كانت أسماء الرجال الخمسة هي "وَدّ، سُواع، يغوث، يعوق، نسرا" وبعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل من قبيل الذكرى والتكريم، ومضى الوقت، ومات الذين نحتوا التماثيل، وجاء أبناؤهم، ومات الأبناء وجاء أبناء الأبناء، ثم نسجت قصص وحكايات حول التماثيل تعزو لها قوة خاصة، وأوهم إبليس الناس أن هذه تماثيل آلهة تملك النفع والضر، وبدأ الناس يعبدون هذه التماثيل[2]

بدرة الشرك.

يسعى الحذر من اتخاذ أي عبادة لا أصل لها في الدين فإنها قد تؤدي – بتقادم الزمان – إلى الشرك والعياذ بالله فهي البذرة التي قام عليها أصل الشرك كما فعل قوم نوح عليه السلام ، ولا يجوز التهاون في مثل هذه الأمور فإن حماية جناب التوحيد من الانتهاك واجب،وفي هذا يقول أحد أئمة الإصلاح:[.الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا ونداؤهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بُعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من

---

١ – فتح الباري، جـ٦، صـ٤٥٨

٢ – انظر تفصيل القصة في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب(ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق)، وقصص الأنبياء لابن كثير، صـ٩١ ، ٩٢.

المتدعات كبائر تحب محاربتها، ولا تتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة][1]

مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

كان نوح عليه السلام عظيمًا ذا خلق حسن، وقد قال تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[2]، وقال ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[3]، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وقال ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾[5]، وَعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال "صَامَ نُوحٌ الدَّهْرَ إِلا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى"[رواه ابن ماجة، من الحديث ٤ ١٧][6]

سوة نوح عليه السلام

بعث الله تعالى نبيه نوحًا عليه السلام لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الكفر والضلالة فبعثه الله رحمة للعباد، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[7]، وقال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[8]

قدوة الدعاة.

استمر نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال تعالى.﴿وَلَقَدْ

---

١ - حسن السماك، رسالة العالم، صـ٣، الأصل الـ١٤، وانظر شرحه في الجزء السادس من هذه السلسلة

٢ - من الآية ٣ من سورة الإسراء

٣ - الآية ٧٩ من سورة الصافات

٤ - الآية ٨١ من سورة الصافات

٥ - من الآية ٧٩ من سورة الأنعام

٦ - في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف

٧ - الآية ٢٥ من سورة هود

٨ - الآية ١ من سورة نوح

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1]، وظل نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه، فتارة يقول لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وتارة يقول لهم ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ* فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3].

وتارة يقول لهم ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]

وتارة يقول لهم ﴿أَلا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[5].

تعدد وسائل الدعوة:

كان نوح عليه السلام يدعو قومه ليلاً ونهارًا، سرًا وعلانية، وكان صبورًا حليمًا، قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا*فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا*يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا*مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا*أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا*وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا*وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا*ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

---

١ – من الآية ١٤ من سورة العنكبوت

٢ – الآية ٥٩ من سورة الأعراف

٣ – الآيتان ٧١،٧٢ من سورة يونس.

٤ – الآيات ١– ٤ من سورة نوح

٥ – الآيات ١٠٦ –١١٠ من سورة الشعراء

إِخْرَاجًا* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا* لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[1]

وهكذا يضرب لنا نبي الله نوح عليه السلام المثل والقدوة في تنوع الوسائل الدعوية، لعل الله يفتح قلوب العباد لدعوته بعضها ويفتح قلوب آخرين بوسائل أخرى وهكذا.

وهذا ما دعا أحد أئمة الدعاة لأن يقول: "ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلك، فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى في خطبة أو اجتماع أو كلمة تكتب في رسالة أو خطاب، أما الآن فمنشرات ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح وحيالات وحاك ومذياع، وقد دلل دلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم، نساء ورجالاً في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم، لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يجسوا تلك الوسائل جميعًا حتى يأتي عملهم بثمرته المطلوبة"[2]

صبر الأنبياء:

لقي نبي الله نوح عليه السلام عنتًا شديدًا وأذى عظيمًا من قومه، إذ كانوا يدخلون عليه فيخنقونه، ويضربونه في المجالس ويطردونه حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه، ويجعل أصبعيه في أذنيه لكيلا يسمع شيئًا من كلام نبي الله، فذلك قوله تعالى ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[3] فحق له أن يكون من أولي العزم من الرسل، قال الله تعالى "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ

---

١ – الآيات من ٨– ٢٠ من سورة نوح

٢ – حسن السماء، مجموعة الرسائل، رسالة دعوتنا، ص١٧، طبعة دار الوريع والنشر الإسلامية، ١٩٩٢

٣ – الآية ٧ من سورة نوح

يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ"[1]

وهذا الصبر يحتاج إليه كل من سار على درب الأنبياء في دعوة الآخرين، ولذلك يوصي الأستاذ الإمام مَنْ خلفه من الدعاة هذا فيقول: "إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها إنما تظهر الرحولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فليست معه في ذلك محال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويخير القطاف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة"[2]

سيطرة الكبراء

كان يحكم قوم نوح الكبراء وكانوا يأمرون قومهم ألا يسمعوا لنوح ولا يقابلوه ولا يتركوا عبادة الأصنام فاتبعوهم وتركوا نبي الله ﷺ وذلك قوله تعالى ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَاراً*وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً*وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَداً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً*وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾[3] فكفر قوم نوح بالله وسخروا من نبيه واستهزءوا بدعوته، وقالوا ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ

---

١ – الآية ٣٥ من سورة الأحقاف

٢ – حسن البنا، مجموعة الرسائل، رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٢٧، طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٢م

٣ – الآيات ٢١– ٢٤ من سورة نوح

مُبِينٌ﴾[1]، وقالوا. "مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[2]، وقالوا ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3]

لا للمساومات:

طلب منه رعماء قومه وأعياؤهم أن يطرد من آمن به من الفقراء والضعاف، فرد عليهم نوح عليه السلام .﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ*وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[4]. وهذا درس حديد للدعاة يؤكده قول الله ﷻ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[5]

مؤمن وكافر:

كفرت امرأة نوح عليه السلام مع من كفر، قال تعالى.﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[6]

لم يؤمن بالله مع نوح عليه السلام سوى عشرة وقيل ثمانون وهو أكثر عدد قيل إنه آمن به، قال تعالى ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ﴾[7]. وقد قيل إن كفرها كان رضاها عما يعمل

---

١ – من الآية ٦ من سورة الأعراف
٢ – من الآية ١٢٧ من سوره هود
٣ – الآية ٣٢ من سوره هود
٤ – الآيان ٢٩، ٣٠ من سورة هود
٥ – من الآية ٢٨ من سوره الكهف
٦ – الآية ١٠ من سوره التحريم
٧ – الآية ٤ من سورة هود

قومها، ولذا نحذر من الرضى بعمل الكافرين والتسامح تجاه أفكارهم المنحرفة.

صفات المخالفين:

وصف الله تعالى قوم نوح بالظلم والطغيان فقال.﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[1]، وقال.﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[2]، ووصفهم بالفسق فقال:﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[3]، ووصفهم بالكذب فقال.﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾[4]، ووصفهم بالسوء، فقال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5].

بذل المستطاع ثم الابتهال:

وصل نوح عليه السلام مع قومه إلى أقصى ما يستطيعه الجهد البشري،إذ إنه قام يدعو ربه.﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا*وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا* وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا*وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾[6]، دعا نوح عليه السلام على الكافرين بالهلاك، فقال.﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[7]، وبرر نوح عليه السلام دعاءه عليهم:﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[8]، فأوحى الله إلى نبيه ألا يحزن عليهم، قال تعالى.﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ

---

١ - الآية ٥٢ من سورة النجم
٢ - من الآية ١٤ من سورة العنكبوت
٣ - الآية ٤٦ من سورة الذاريات
٤ - الآية ٣٧ من سورة الفرقان
٥ - من الآية ٧٧ من سورة الأنبياء
٦ - الآيات ٢١- ٢٤ من سورة نوح
٧ - من الآية ٢٦ من سورة نوح
٨ - الآية ٢٧ من سورة نوح

يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]، واستحاب الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام، قال تعالى ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[2]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[3]، ونهى الله تعالى نبيه نوحًا عليه السلام أن يستغفر للمشركين، قال تعالى.﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[4]

ثقة فيما عند الله

أوحى الله تعالى لنبيه عليه السلام أن يصنع سفينة، قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[5]، وكانت سفينة عظيمة الطول والارتفاع والمتانة، وكان جبريل عليه السلام يعلمه كيف يصنع[6]

لا لتجديل المُجَدِّلين

كان قومه يسخرون منه قائلين صرت نجارًا بعد أن كنت نبيًا، ويقولون. لقد جن نوح إذ يصنع سفينة على جبل! قال تعالى ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ*فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[7]،

---

١ - الآية ٣٦ من سورة هود
٢ - الآية ٧٦ من سورة الأنبياء
٣ - الآية ٧٥ من سورة الصافات
٤ - من الآية ٣٧ من سورة هود
٥ - من الآية ٢٧ من سورة المؤمنون
٦ - انظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ١٠١
٧ - الآيات ٣٨،٣٩ من سورة هود

وصنع نوح عليه السلام السفينة على أحد الجبال[1]. وهذا درس للدعاة بأن يطيعوا أمر ربهم حتى ولو لم تتبين لهم الحكمة بعد أو سخر منهم المستهزئون

جزاء الكافرين.

لما فار التنور - أي. عندما خرج الماء من فرن البيت- وقد كانت علامة العذاب والهلاك للمكذبين، حمل نوح عليه السلام إلى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، وذلك مصداق قول الحق تبارك وتعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾[2] ونادى نوح عليه السلام على عباد الله المؤمنين.﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]

ثم بدأ الطوفان، قال تعالى.﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ*وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ*تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[4] وارتفعت المياه أعلى من الماء حتى تحاورت قمم الأشجار، وقمم الجبال، وغطت سطح الأرض كله

ونادى نوح عليه السلام ابنه كنعان[5] وكان يقف بمعزل منه، قال تعالى.﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا

---

١ - انظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ١٠١

٢ - من الآية ٤٠ من سورة هود

٣ - من الآية ٤١ من سورة هود

٤ - الآيات ١١- ١٤ من سورة القمر

٥ - انظر قصص الأنبياء لابن كثير، صـ١٠٤

الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]، ونادى نوح ربه فقال ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ*قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ*قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ*قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقد أعقم الله أرحام الكافرين أربعين سنة قبل الطوفان، فلم يكن فيمن هلك طفل أو صغير وهذا درس آخر في معرفة أن الأخوة والبنوة الحقيقية هي الأخوة الإيمانية ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾

الإرث لعباد الله الصالحين.

أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام، قال تعالى:﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا"[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[4]

ونجا الله تعالى نبيه نوحًا عليه السلام والمؤمنين معه، قال تعالى:﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ﴾[5]، وقال:﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[6]، وقال تعالى:"وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ"[7]، فكانت نجاتهم مصداقًا لقول

---

١ – الآيات ٤١، ٤٢ من سورة هود
٢ – الآيات ٤٥– ٤٨ من سورة هود
٣ – الآية ٢٥ من سورة نوح
٤ – من الآية ٧٣ من سوره يونس
٥ – من الآيه ٧٣ من سورة يونس
٦ – الآية ١١٩ من سورة الشعراء
٧ – الآية ٧٩ من سورة الصافات

الله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

نزل المؤمنون من السفينة يوم عاشوراء، فعن أبي هريرة ﷺ قال مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأُنَاسٍ مِنْ الْيَهُودِ قَدْ صَامُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ:"مَا هَذَا مِنْ الصَّوْمِ؟ قَالُوا هَذَا الْيَوْمُ الذِي نَجَّى اللهُ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيل مِنْ الْغَرَقِ وَغَرَّقَ فِيه فِرْعَوْنَ وَهَذَا يَوْمُ اسْتَوَتْ فِيه السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ فَصَامَهُ نُوحٌ وَمُوسَى شُكْرًا لله تَعَالَى فَقَال النَّبِيُّ ﷺ ."أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى وَأَحَقُّ بِصَوْمِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالصَّوْمِ" [رواه احمد، الحديث٨٣٦٠]، وغرقت الأرض كلها و لم يغرق أحد في الطوفان لم تصله الدعوة

تَرَكْنَاهَا ءَايَةً:

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ءَايَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[2]، وقال تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، فهل يدرك العصاة والطغاة أن هذه دائمًا هي نتيجة الطغيان ، وهل يدرك الدعاة أيضًا أن النصر والفوز هو لهم في نهاية المطاف

البداية الثانية للبشرية:

كان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد هم حام وسام ويافث، فَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال:" سَامٌ أَبُو الْعَرَبِ وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ وَحَامٌ أَبُو الْحَبَشِ"[رواه الترمذي، الحديث ٣٨٦٦] والظاهر أن هؤلاء الثلاثة هم الذين عاشوا بعد وفاته عليه السلام، ولذلك عُرف بي الله نوح عليه السلام بأبي البشر الثاني، فجميع البشر كانوا

---

١ – الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء
٢ – الآية ١٥ من سورة القمر
٣ – الآية ١٥ من سورة العنكبوت

من ذريته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[1]، وقد عاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ستين سنة.

كناية ووصية.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال "إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابنه إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ آمُرُكَ بِلا إِلَهَ إِلا اللهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ وَأَنْهَاكَ عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ" [رواه أحمد، الحديث ٦٢٩٥]

أمة الشهادة.

تشهد أمة محمد ﷺ لرسول الله نوح عليه السلام يوم القيامة أنه بلغ قومه مصداقًا لقول النبي ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ" [رواه البخاري، الحديث ٤١٢٧]

---

١ - الآية ٧٧ من سورة الصافات